«الإيمان الراسخ هو صرح متين؛ والمسيح هو الكل بالكل للإنسان الذي عنده إيمان».

(القديس مرقس الناسك)

«إنني لا أقدر أن أنكر وجود دودة الأرض أو أي فيروس، ولكني أقدر أن أنكر وجود الله... وإنما الإيمان يقول: اترك كل الحجج الواهية واستلم الكلمة».

(بول إيفدوكيموف)

«الإيمان المسيحي هو مشاركة شخصية في المسيح، ليس هو قبولاً لعقائد عن المسيح إنما هو قبول للمسيح نفسه... المسيحية لا تريد برهانًا لأنها اختبرَته».

(الأب ألكسندر (شميمن))

«لا نعرف من أين يأتي غير المؤمن. المؤمن أصوله في السماء. يينع من الأرض. يأتي من الكلمة... الله مأمنه. من هنا قيل أنه مؤمن».

(المطران جورج (خضر))

المؤمن لا يخاف

نحن إذ نتأمّل بكلمة «مؤمن» ونفهمها على ضوء المصباح الإلهي الذي يشعّ من الكلمة المتجسّد -حجر الزاوية- الذي يعطي الخليقة معناها، والذي من دونه ليس هناك معنى أو هدف لها، إنما زوال واضمحلال. هذا التأمّل يأخذنا إلى صميم، بل قل إلى جوهر حياتنا وإلى مضمونها وغاية الله منّا.

إن تحليلنا لكلمة مؤمن أو لكلمة إيمان وتفكيكهما إلى حروف فردية لا يُبقي منهما إلاّ شرذمات. إلا أنه بتواصل هذه الأحرف وبترابطها واتّحادها في المسيح يصبح لها كيان. حينئذٍ نقدر أن نقول إنها قد تأسّست من جديد؛ قد لبست حلّة العرس وأصبحت من المدعوّين إلى الوليمة التي أعدّها الرب.

الحروف المعنية هنا هي: «ا ي م ا ن» التي بتواصلها وباتصالها بالله تحكي عن إيماننا بالله. هناك كلمات كثيرة قد تتكوّن من هذه الأحرف، وسوف نرى ونعي مدى تعلّقها بعضها ببعض وكيف أنها تزيد من صلابة إيماننا وترسّخه حتى الجذور.

يمكننا أن نؤمن بأي شيء أو بأي شخص أو بلا شيء، ولكننا للتوّ ندرك مدى المحدودية وعدم سعة الأفق الذي يتمتّع به. إنه لمن الجدير ذكره أن «الله» وحده هو الذي أتاح لنا وجاد علينا بالخلاص ودخول مملكته الخلاصية. إن نحن وضعنا ثقتنا بالشيطان وآمنّا به، فما الذي نجنيه؟ أيّ خلاص نقتنيه من الذي يمثّل الكبرياء، والرفض والشكّ؟ كيف يُمكن أن تقوم علاقة أو اتحاد أو وصال مبنية على عدم الثقة؟ أيّ ضمان أو أية نهاية نرتجيها؟ فإذا كان البدء منه، فأيّ أصل هذا الذي قد تكوّنا منه، وعلى أيّ أساس نكون قد خُلقنا؟ هل يُمكن أن يكون قد أوجدنا من فرط محبّته، وكيف يكون ذلك وهو لا يعرف المحبّة ولا الطاعة؟ الخليقة قد صُيِّرَت ببذل الذات، بالخلق للمشاركة في الفرح الأعظم، بإعطاء المجال للمخلوق كي يتواصل مع الخليقة والخالق، كي يُهلّل ويُسبِّح مع كل نسمة وعن كلّ نسمة التهاليل للربّ القدّوس.

هذا عن الشيطان، فكيف إذا آمنّا بالحجر؟ ألن نُدرك عدم حرّيته، عدم قدرته وعدم حركته مع أن العلم أثبت أنه يتفاعل ولكن ببطء وبمحدودية؟ نعم، بإمكاننا أن نستخلص منه الدروس والعِبَر، ولكنه يبقى

على حاله غير قادر على التكوين والخلق؛ إنه ضمن الحدود التي رُسِمَت له، فلا يقدر أن يتخطاها؛ إنه مطواع البنّاء.

أو ذلك اللا شيء الذي نرسم نحن معالمه، نحوكه على شكلنا ومثالنا. كيف نأمن إليه ما دمنا نحن الذين قد صنعناه؟

نعم، **فالمؤمن** يجب أن لا يخاف، فلا يجب أن يُدرِك الخوف قلبه. إنه هو **المؤمن** الذي **آمن** و**أمّن** فيُدركه **الأمان**. إن **الأمن** يستتبّ فيه ما دام **أمينًا** على وصايا الله وطلباته. فإن **المؤمن** مِن **مَنِّ** اللهِ **ينمو**، يتغذّى ويرعى على **الإيمان** **واليُمن** والبرَكة.

أن **نؤمن** هو أن **نأتمن** أنفسنا إلى مَن **أمّننا** على سرّه ووهبنا نعمًا. فلقد **مَنَّ** علينا في البدء من نفسه نفَسَه و**المنّ** في البرّية والخلاص عند **المنون**. إذًا على **المؤمن** أن لا يكترث بالأرضيات ويرفع عنه «كل اهتمام دنيوي» لأنه ما دام يسعى إلى بِرّ الله وملكوته فإن كل **المؤن** الأخرى تُزاد له.

إن ذات **المؤمن** **آمنة و أمينة**، سالمة وسليمة ومسالمة، **يأمَن** إليه مَن حوله ويستكينون، وهو أيضًا **يأمَن** إلى مَن حوله ويستكين، لأنهم **مؤمنون** بالله وهو **أمانهم** وخلاصهم. إنهم **يؤمّنون** بعضهم بعضًا فيُصبحون **كالأم** ينام في حضنها الطفل غير مُكترث.

إن **أمنية المؤمن** هو الوصول إلى **الميناء**، محافظًا على **الأمانة**، وافيًا ووفيًا للوعد بينه وبين الله. فيكون له **المنأى** الأخير مكانًا **للنوم** على رجاء القيامة. وهكذا يوم **المنون** يوم **يتمنّاه المؤمن الأمين** كي يلتقي ربّه ويودع **أمانته** بلا خوف لأن الرّب **أمّنه ومنّ عليه بالمؤن** ووهبه الخلاص.

الإيمان هو مسيرة حياتنا ومصيرها. نعم، نحن نختار. الاختيار واجب لأن مصيرنا مرهون به وعليه مآلنا. إذا كان الاختيار هو عدم إيماننا بالله، فإن الطريق والمآل قد انتهيا قبل البدء. أما إذا كان ما اخترناه عكس ذلك، فإن لنا في المآل بدءًا جديدًا يتواصل مع مسيرة النمو والوصال مع الملكوت السماوي الذي تذوّقنا بعضًا مِن مَنّه ونحن بعد في الكنيسة المجاهدة.

نحن لا نؤمن بعقائد عن الله؛ هذا عبادة وثن، هذه صنمية. نحن نؤمن حقًّا بـ«آب ضابط الكلّ، خالق السموات والأرض وكل ما يُرى ولا يُرى. ونؤمن حقًّا بالرب الواحد يسوع المسيح، المولود من الآب قبل كل الدهور. وبالروح القدس، المالىء الكل، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن». حقًّا هكذا تجلّى الله لنا وليس كفكرة فلسفية رأت النور لتحلّ مشكلة الخلق وأسئلة الخليقة. فإيماننا بالله هو إيمان حقّ بالذي يبرّرنا. إنه الثالوث في وحدانية، على صورته ومثاله قد خلقنا، وما سوى ذلك فغير مقبول.

الخوف مستقرّ في قلب غير المؤمن. وهكذا نكون، من غير الله، غير مستقرّين. الله وحده هو المعطي الحياة وواهب الثقة والذي أعطانا الأمان والسكينة. ليس من أحد يمكنه أن يهبنا قيد أنملة، فكيف يمكننا أن نثق بالذي لا يقدر أن يجود بشعرة منه أو بالذي ليس لديه «ذرّة إيمان قدر حبة الخردل فيزيح الجبال»؟ إن المؤمن الحق لا يخاف فإنه قد أسند نفسه إلى الذي يقول «تعالوا إليّ أيها المُتعَبون والثقيلو الأحمال وأنا أريحكم».

المؤمن ليس عليه أن يخاف إلا من الوقوع في الغفلة، في الخطيئة. لأجل ذلك طلب منه السيّد أن يبقى يقظًا، شريكته الصلاة النابعة من دقّات قلبه ومسامات جسده وتدفق دمه فيصبح لاهجًا بذكر الرّب على الدوام وإلى دهر الداهرين، حاميًا نفسه من ظلام الشهوات ومعرِّضًا إياها إلى «النور الذي لا يعروه مساء».